

مشروع حلب*، كلية السياسات العامة في الجامعة الأوروبية الوسطى، مركز الصراع والتفاوض التعافي نظرة على البيانات: هل تعتقد أنك ستعود إلى حلب؟

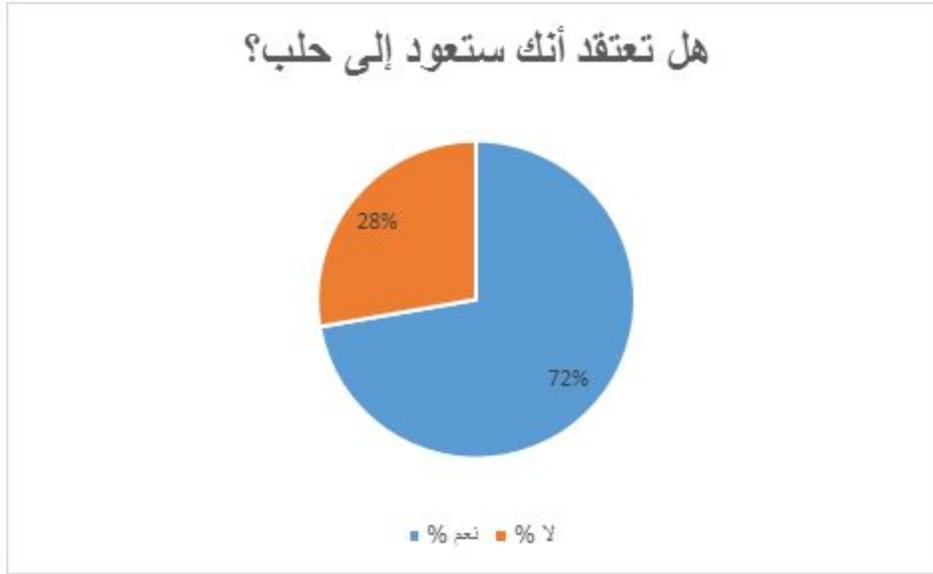


ستبدو حلب ما بعد الصراع مختلفة جداً عما كانت عليه في أواسط العام 2012. لا تدمر الحروب المباني والبنى التحتية فحسب، بل تمزق النسيج الاجتماعي أيضاً. أحد الأسئلة المربكة للحلبيين على الرغم من أهميته هو ليس فقط كيف سيقومون بإعادة إعمار مدينتهم، وإنما من سيكون هناك حينها.

الرسم البياني 1: نسبة من يتوقعون العودة إلى حلب

مشروع حلب: تعاون مفتوح بين الناس من مختلف المشارب، أولئك الذين يفكرون في مستقبل مدينة مزقتها الحرب. قد يبدو من المبكر الحديث حول * إعادة الإعمار في ظل القصف المستمر، غير أنه كلما بدأ التفكير في عملية إعادة البناء قبل كلما كانت احتمالات نجاحها أعلى. نطمح إلى جمع أقصى ما نستطيعه عن ماضي المدينة وأن نوثق المآسي التي حلت بها، وأخيراً نفكر في أي مستقبل تحمله الأيام لها

هل تعتقد أنك ستعود إلى حلب؟

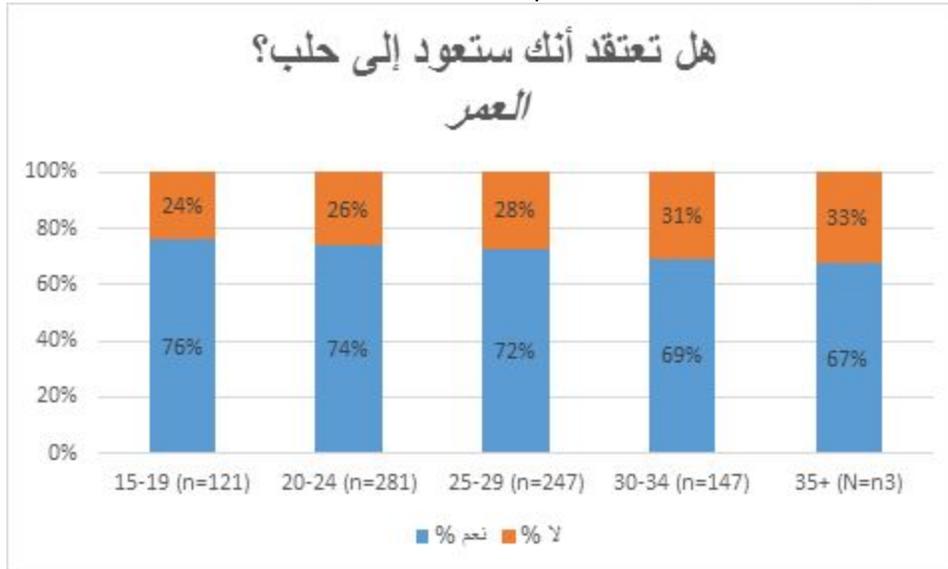


عدد المشاهدات الإجمالي: 894

سألنا 1001 حليبي في أواخر 2014 وأوائل 2015 "هل تعتقد أنك ستعود إلى حلب؟". أجاب 72% ممن غادروا المدينة بنعم، فيما استجاب 28% بلا.

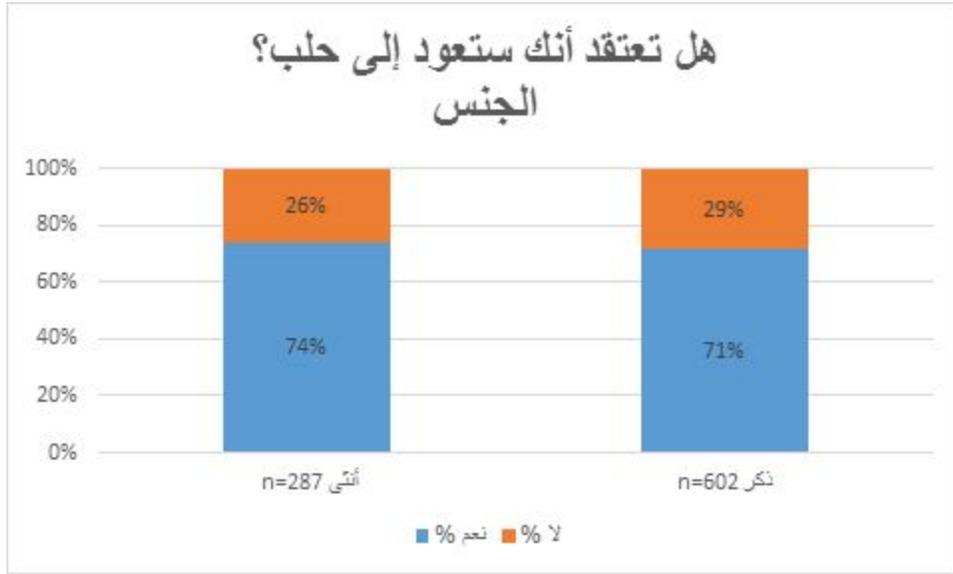
لم تتفاوت هذه النسب كثيراً تبعاً للجنس، أو وجود أبناء، أو تملك عقار في المدينة، أو كون المنزل بحلب مدمر أو متضرر. بالمقابل، تفاوتت هذه النسب تبعاً لمستوى التعليم. حيث يبدو الأشخاص الذين يمتلكون شهادة تعليمية أعلى من الثانوية أقل احتمالاً بالعودة إلى حلب بمقدار 14% إذا ما قورنوا مع نظرائهم الأقل تعليمياً.

الرسم البياني 2: نسبة من يتوقعون العودة إلى حلب تبعاً للعمر



عدد المشاهدات الإجمالي 879

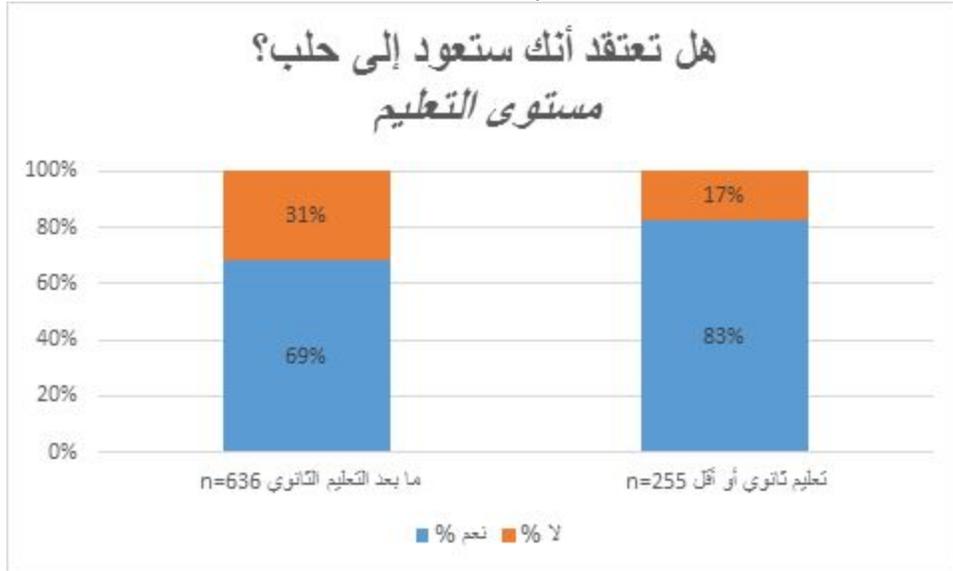
الرسم البياني 3: نسبة من يتوقعون العودة إلى حلب تبعاً للجنس



العدد الإجمالي للملاحظات: 889

كما يوضح الرسمين اثنين وثلاثة، لم يؤثر العمر أو الجنس على رغبة الحلبيين في العودة لاحقاً إلى مدينتهم بمعدل أكثر من 5%.

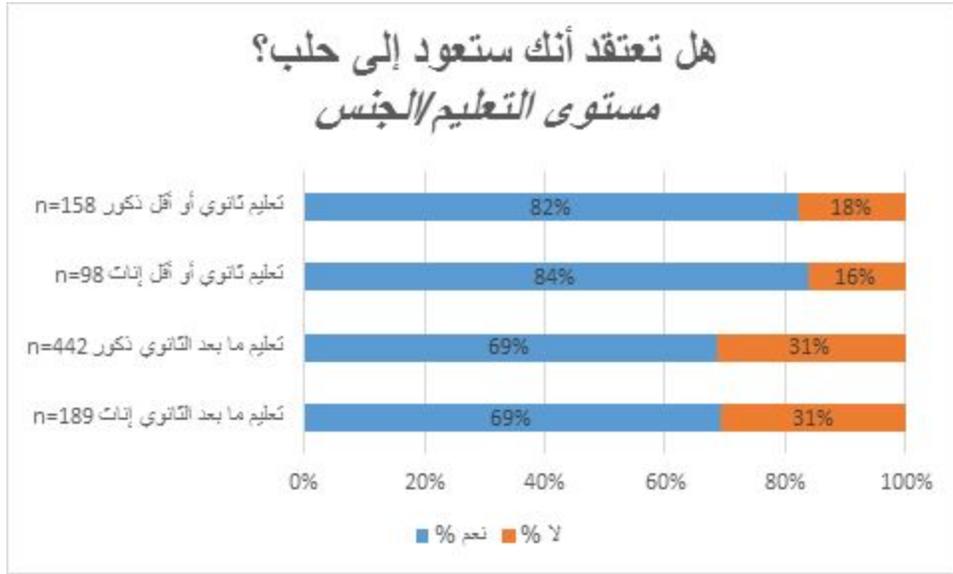
الرسم البياني 4: نسبة من يتوقعون العودة إلى حلب تبعاً لمستوى التعليم



العدد الإجمالي للملاحظات: 891

أثرت مستويات التعليم على الرغبة في العودة إلى حلب بشكل أكبر من عوامل أخرى كما هو موضح في الرسم البياني أعلاه. الحلبيون الذين حققوا مستوى تعليمي يتجاوز التعليم الثانوي بدوا في كثير من الحالات أقل رغبة في العودة إلى حلب مقارنة بنظرائهم الأقل تعليماً وذلك بمعدل 14%.

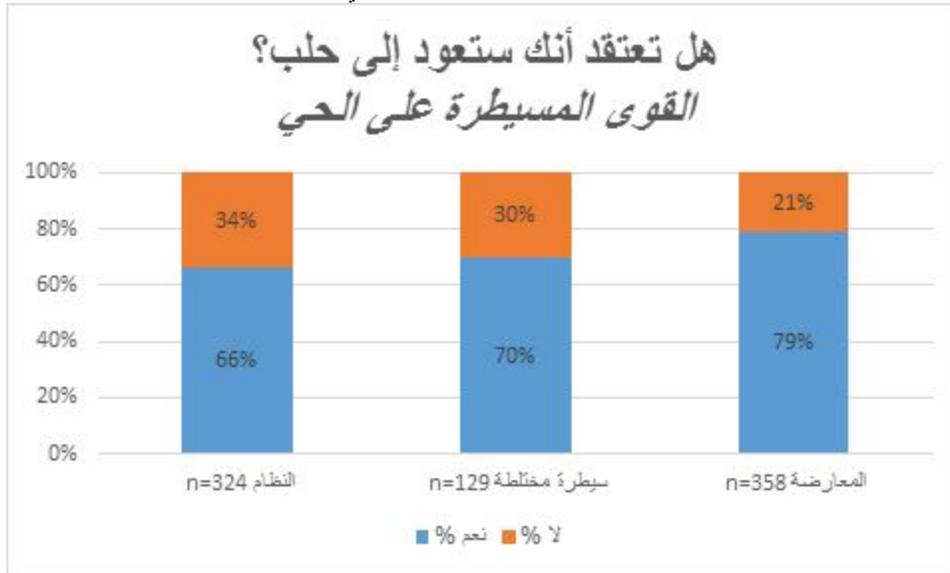
الرسم البياني 5: نسبة من يتوقعون العودة إلى حلب تبعاً للمستوى التعليمي والجنس



العدد الإجمالي للملاحظات: 887

فوارق الجنس مع أخذ التعليم بعين الاعتبار بالذات بدت مهمة جداً في تحديد رغبة البعض في العودة إلى حلب من عدمها. فعلى سبيل المثال، كما هو موضح في الرسم البياني 5، بينما قالت 86% من النساء الأقل تعليماً أنهن سيعدن إلى حلب، أعرب 69% فقط من الذكور المتعلمين عن رغبتهم في العودة.

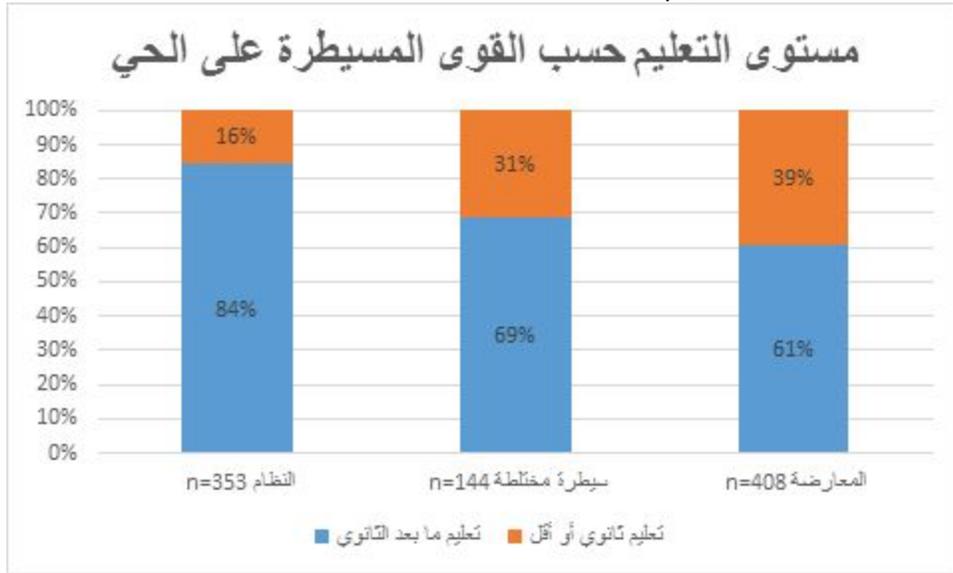
الرسم البياني 6: نسبة من يتوقعون العودة إلى حلب بناءً على من يسيطر حالياً على أحيائهم السكنية



العدد الإجمالي للملاحظات: 811

يوضح الرسم البياني 6 أن نسبة أعلى من سكان المناطق التي تحكمها المعارضة حالياً، مقارنة بتلك التي يسيطر عليها النظام، يعتقدون بأنهم سيعودون إلى حلب.

الرسم البياني 7: المستوى التعليمي تبعاً للقوى المسيطرة على الأحياء



العدد الاجمالي للمشاهدات: 905

إلى جانب عوامل أخرى، من المحتمل جداً وجود دور لمستوى التعليم في الأحياء (الرسم البياني 7) في فهم الاختلاف في رغبة الحلبيين بالرجوع إلى مدينتهم.

من بين العوامل الأخرى التي قد تكون المسبب في رغبة الحلبيين الآتين من مناطق سيطرة المعارضة بالعودة إلى مدينتهم أكثر من نظرائهم الآتين من مناطق سيطرة النظام هو كونهم هربوا من الحرب بأعداد أكبر بالدرجة الأولى كما تكشف التقارير الإنسانية. حلب الخاضعة لسيطرة النظام أكثر أمناً إذا ما قورنت بمناطق سيطرة المعارضة، فهي لم تكن عرضة للبراميل المتفجرة المنتظمة. كما أنها تدمرت بشكل أقل بوضوح ولا زالت تقدم فيها الخدمات العامة بدرجة أفضل نسبياً. هناك عامل آخر قد يكون مسهماً في رغبة أهل حلب القادمين من مناطق سيطرة المعارضة بالعودة لمدينتهم بدرجة أعلى. ذلك أنهم بشكل وسطي أقل تعليماً، مما يعني فرصاً اقتصادية أقل قيمة في الخارج.

قد يشكل هذا بالتحديد تحدياً صعباً لإعادة الإعمار وخصوصاً للمناطق الخاضعة حالياً لسيطرة المعارضة. بالرغم من أن حلب لم تكن مقسمة علناً أو بشكل رسمي قبل الحرب، كانت هناك فوارق اجتماعية ومرئية واضحة التمايز بين حلب الشرقية والغربية. فغالبية المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية فيما أصبح اليوم حلب الشرقية تحت سلطة المعارضة كانت أسوأ بشكل واضح من نظيرتها الغربية. كذلك فإن كثافة السكان في المناطق الشرقية أعلى بكثير حيث يتضح هذا جلياً في العشوائيات التي حوت أعداداً كبيرة من المهاجرين الجدد من الريف إلى المدينة. بدى الشرخ واضحاً حتى ثقافياً بين شق عربي أكثر تنوعاً و يسراً وانفتاحاً وآخر أكثر محافظة وأقل ثراءً وتنوعاً حيث السواد الأعظم من السنة. علاوة على كون أعداد أكبر من الناس قتلت وهجرت من حلب المعارضة، فالمباني والبنى التحتية بما فيها المدارس والمستشفيات والمخابز تدمرت كذلك أكثر.

كانت هنالك بعض الاجابات العمومية حول سؤالنا "لماذا" ستعود -أو لن تعود- إلى حلب؟ فبينما كانت هناك إجابات مرتبطة بالحنين إلى مدينتي، منزلي، حيي، شعرنا برأي البعض أن العودة أفضل من غربة لا ينتمي فيها الشخص لمكان آخر. حسب رأي فئاة جامعية بعمر 29 عاماً من حلب الغربية: "أتمنى العودة في أقرب وقت ممكن. ستمدعني كرامتي للعودة، فمن يترك بلده لا كرامة له". فئاة جامعية أخرى بعمر 26 من مناطق السيطرة الكردية لخصت بشكل جميل رغبات أولئك الطامحين بالعودة إلى حلب بعد انتهاء الحرب أو عودة الأمان. لأعود إلى وطني فأنا بحاجة لـ "عودة الأمن والخدمات الأساسية، كذلك احتمالية بناء حياة بسيطة ومستقرة إلى جانب الأسرة والأقرباء".

على النقيض، لمسنا شعور البعض بأن "حلب التي أعرفها أنا" لم تعد هناك وأنه ما من شيء سيدفع بعض الأفراد للعودة إليها بشكل دائم. قال جامعي بعمر 23 من مناطق سيطرة المعارضة بأنه "ليس هنالك ما تبقى في حلب، مات الأصدقاء أو رحلوا، واندثرت الذكريات تحت الأنقاض".

بالرغم من كوننا لا نستطيع معرفة من سيعود أولاً أو من سيعود أساساً، فإننا نعرف من أمثلة لمدن أخرى أن أولئك الذين يشعرون بقلة فرصهم الاقتصادية في الخارج غالباً ما يعودون أولاً. من المتوقع أن ينطبق هذا على حلب خصوصاً، حيث نزح أكثر الناس حاجة لعدة مرات داخل المدينة ذاتها والريف أو في مخيمات اللجوء وأماكن تجمع الجالية السورية في تركيا.

سيكون لتاريخ حلب في الهجرة قبل بدء الصراع نتائجها في المستقبل أيضاً، حيث انتقل على مدى العقود القليلة الماضية آلاف الريفين السنة محدودي التعليم إلى حلب وأقاموا في غالب الأحيان في المناطق العشوائية الشرقية. بسبب احتمال وجود فرص عمل في مدينة قيد إعادة الإعمار كحلب وفرص العمل المحدودة في الريف، من المتوقع بعد انتهاء الحرب أن تستمر حلب باجتماع أبناء الريف إليها كما قد يزداد ذلك تسارعاً.

لحلب كذلك تاريخ في الهجرة الحرفية التي دفعت كثيراً من أبناءها الشباب الجامعيين للعمل في دول الخليج و أوروبا والأمريكيتين. استقر كثير من أبناء حلب الأفضل تعليماً وتأهيلاً في بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية أو كانوا هناك أصلاً قبل بدأت الحرب. في العام 2011، أقام نحو 225,500 شخص من مواليد سوريا في بلدان المنظمة، حيث من بينهم 34.5% متقدمي التعليم و 34.1% ضعيفي التعليم. في العقد الأخير قبل بدء الصراع، ارتفعت الهجرة السورية إلى بلدان المنظمة بشكل مضطرب بواقع زيادة 68.4% من متقدمي التعليم و 55.4% من الأقل تعليماً بين العامين 2001 و 2011.³

اعتاد عدد من الشبان العاملين في دول الخليج على الادخار قبل بدء الصراع ليعودوا لاحقاً بعد بضع سنوات ويربوا أولادهم ويعملوا في حلب. الآن وبناءً على روايات الناس، يبدو أن عدداً من هؤلاء الشبان يسافرون إلى دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية حين تنتهي عقود عملهم في الخليج، وذلك لعدم رغبتهم بالعودة إلى سوريا أثناء الحرب. بشكل عام، كلما امتدت الحرب كلما زاد احتمال أولئك الذين اندمجوا اقتصادياً واجتماعياً في بيئاتهم الجديدة بالبقاء حيث هم وبناء حياة مستدامة خارج حلب. وجود تقارير واسعة الانتشار أن البعض يبيعون ممتلكاتهم الخاصة وأماكن رزقهم وأصولهم لتمويل رحلتهم لأماكن بعيدة عن القتال يؤيد هذه الرؤية.

على خطط إعادة الإعمار أن تأخذ أولئك الذين سيعودون إلى حلب عند انتهاء القتال بعين الاعتبار. إن حدث المتوقع وعاد الأكثر عوزاً أولاً فيما بقي الأثرى والأفضل تعليماً في الخارج ليعودوا بعدهم بفترة بعيدة إن كانوا سيعودون أصلاً، ستبدو حلب الغد مختلفة جداً عن حلب الأمس.

ملاحظة حول الأرقام: من أصل 1001 استبيان، 894 أجابوا بنعم أو لا فقط. قمنا باستثناء أي إجابات أخرى بما في ذلك 90 شخصاً نتعد بأنهم كانوا في حلب أصلاً أثناء الاجابة على الاستبيان.

¹ ملاحظة حول تقسيم الأحياء: قام باحثونا بتقسيم الضواحي/المناطق السكنية التي أجاب بها المستطلعون إلى خمس مجموعات بناءً على القوة العسكرية المسيطرة بتاريخ أيلول/سبتمبر 2015. لم نقم بتضمين الإجابات الفارغة وتلك التي هي تحت سيطرة الدولة الإسلامية (داعش) والأكراد في هذه المقال لكون أعداد المستطلعة أراؤهم من هذه المنطقة صغيرة جداً. الأحياء في منطقة سيطرة النظام (حجم العينة=343): الجميلية، الأعظمية، الأكرمية، الأندلس، العزيزية، البحوث العلمية، الفرغان، الحمدانية، الإسماعيلية، الإذاعة، الجميلية، الخالدية، الكرة، الملعب البلدي، الماريني، الميريديان، الميدان، الموغامبو، المحافظة، السليمانية، الفيلات، الواحة (خارج حدود المدينة)، الشهباء، الشيخ طه، السبيل، السيد علي، السريان، الزهراء، محطة بغداد، المساكن، حلب الجديدة، السريان الجديدة، شارع النيل، قرطبة، شارع تشرين والجامعة.

مناطق سيطرة الدولة الإسلامية -داعش- (3 إجابات) كلها خارج حدود المدينة: الباب، منبج، تادف. مناطق السيطرة الكردية (29 إجابة) من ضمنها: الأشرافية والشيخ مقصود.

مناطق السيطرة المختلطة (143 إجابة) من ضمنها: الجديدة، السبع بحرات، القلعة، مخيم جندرات، مقبرة ميسلون، صلاح الدين، سيف الدولة. مناطق سيطرة المعارضة (393 إجابة) من ضمنها: الجلوم، الأعجام، الأبراج، الأنصاري، الأنصاري شرقي، العقبة، الأصيل، البيضاء، البليمر، الفرازة، الفردوس، الهلك، الكلاسة، المشهد، القاطرجي، أقيول، الشعار، الشيخ فارس، الشيخ خضر، الصالحين، السكري، اعزاز (خارج حدود المدينة)، الزبدية، بعيدن، باب الحديد، باب النصر، باب النيرب، بسينته، بستان الباشا، بستان القصر، ريف حلب (خارج حدود المدينة)، هنانو، حريتان (خارج حدود المدينة) جب القبة، كفر حمرة (خارج حدود المدينة)، فيلات خان العسل (خارج حدود المدينة)، مساكن هنانو، جانب المسجد الأموي، أورم الكبرى (خارج حدود المدينة)، قاضي عسكر، قلعة الشريف، فرلق، ساحة بزة، سليمان الحلبي، طريق الباب، تل الزرايزر.

³ OECD (2015), *Connecting with Emigrants: A Global Profile of Diasporas*, OECD Publishing, Paris.

DOI: <http://dx.doi.org/10.1787/9789264177949-en>

